# بلاغة الحجاج
# في سورة (الكافرون)

بقلم الدكتورة

**زكيّة بنت محمّد بن مبارك السليس العتيبيّ**

**أستاذ البلاغة والنقد المشارك - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن ـ المملكة العربية السعودية**

**المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م**

**الجزء الخامس ( إصدار يونيو )**

**رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م**

بسم الله الرحمن الرحيم

# بلاغة الحجاج في سورة (الكافرون)

**زكيّة بنت محمّد بن مبارك السليس العتيبيّ**

**قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن ـ المملكة العربية السعودية .**

**البريد الإلكتروني :** Zakyah11@gmail.com

**الملخص**

تتناول هذه الورقة الحجاج في سورة (الكافرون)، وتهدف إلى الكشف عن بلاغة الحجاج فيها وتوضيح أثره على إيصال المعنى، وتنقسم الدراسة إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث؛ يتناول المبحث الأول الروابط الحجاجية، والمبحث الثاني: العوامل الحجاجية، والمبحث الثالث: السلالم الحجاجية. وقد توصلت الورقة إلى عدة نتائج من أبرزها: إنّ القرآن الكريم خطاب قائم على الحجاج.

**الكلمات المفتاحية :** الخطاب القرآني، البلاغة القرآنية، الحجاج، سورة (الكافرون) .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X



الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# Argumentation in Surat ( Al-Kafirun)

**Zakiah Bint Mohammed Bin Mubarak Al-Salis Al-Otaibi**
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Princess Noura Bint AbdulRahman University, Saudi Arabia .
**Email:** Zakyah11@gmail.com

## Abstract

**This paper deals with the Argumentation in Surat (Al-Kafirun). It aims to reveal the rhetoric of the argumentation in this Sura and clarifies its impact on conveying the intended meaning.**

**The study is divided into: an introduction, a preface, and three other major sections. The first one deals with the argumentation linguistic connectives. The second section investigates the argumentation factors, while the third one examines its linguistic mechanisms.**

**The paper came up with several conclusions; the most important one is the fact that The Holy Qur'an is a linguistic discourse based on Argumentation.**

**Keywords: Quranic discourse , Quranic rhetoric , Argumentation , in (Surat Al-Kafirun) .**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

القرآن الكريم خطاب موجه للإقناع والتأثير، والحجاج فيه هو أحد وجوه الإعجاز التي يُهتدى بها، وهو خطاب حجاجي رفيع المستوى بما فيه من عناصر لغوية(١).

والمخاطبون في القرآن الكريم على نوعين:

- نوع يُذكر داخل النص وهو نوعان: قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعنيه، وقسم مذكور لكنه غير معين، فالمخاطب فيه ليس بعينه.

- أما النوع الثاني؛ فهو: الذي يُذكر خارج النص، لكنه معنيّ بالخطاب، وهو جمهور المتلقين باختلاف زمانهم ومكانهم.(٢)

ولاختيار الموضوع سببان رئيسان هما: عدم وجود دراسة عن الحجاج في سورة (الكافرون)-فيما أعلم- والرغبة في خدمة كتاب الله- عزّوجلّ-.

ومن تلك الأسباب تشكّلت أهداف الدراسة التي تتطلع إلى الكشف عن بلاغة الحجاج في سورة (الكافرون)، وتوضيح أثره في إبلاغ المعنى.

---

(١) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صوله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١ص ٤٠

(٢) يُنظر: السابق، ص:٤٢

وتجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية:

١.ما الروابط الحجاجية في سورة (الكافرون) وما أثرها في إبلاغ المعنى؟

٢.ما العوامل الحجاجية في سورة (الكافرون) وما أثرها في إبلاغ المعنى؟

٣.ما السلالم الحجاجية في سورة (الكافرون) وما أثرها في إبلاغ المعنى؟

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تسير الدراسة على المنهج التحليلي، مستأنسًا بالمنهج الوصفي؛ لما لهذين المنهجين من أهميّة بالغة في تحليل آيات القرآن -الكريم- التي لابد أن تستند على الوصف والتفسير المبثوث في كتب التفسير.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تنتظم الدراسة في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث هي: العوامل الحجاجية، والروابط الحجاجية، و السلالم الحجاجية، ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج و التوصيات.

<u>الدراسات السابقة لموضوع هذه الدراسة:</u>

من خلال البحث والتقصي في قواعد البيانات لم تظهر إلا دراستان لغويتان أفردت السورة الكريمة بالبحث، وهي:

- تبادل الضمائر في سورة (الكافرون) دراسة تحليلية، د. آلاء طارق، د. عائشة خضر، مجلة التربية والعلم، الموصل، العراق، مجلد ١٧، ع٤، ٢٠١٠.

وهي دراسة نحوية تتحدث عن دور الضمائر المتبادلة في سورة (الكافرون) في التماسك النصي، وهي تختلف عن هذه الدراسة الحجاجية

التي تبحث في الروابط والعوامل والسلالم الحجاجية في السورة وأثرها في إبلاغ المعنى.

- سورة (الكافرون) قراءة بلاغية، أسماء سعود الخطاب، مجلة جامعة زاخو، العراق، مجلد ١، ع٢، ٢٠١٣، وقد درست الباحثة في بحثها الفنون البلاغية الثلاثة ( المعاني والبيان والبديع) بتوضيح الفنون البلاغية في السورة ، وهي وإن تطرقت إلى أسلوب القصر والمقابلة إلا أن طريقة التناول بين البحثين مختلفة؛ فالباحثة تناولت الفنون البلاغية، أما هذه الدراسة فقد تناولت هذه المواضيع وغيرها باعتبارها ضمن الروابط والعوامل والسلالم الحجاجية.

-قراءة بلاغية في سورة (الكافرون)،د. جمال أحمد، شبكة الألوكة على الإنترنت ،آفاق الشريعة، مقالات شرعية، علوم القرآن، بتاريخ ٧-١٢-٢٠١١، تحدثت الدراسة عن الفنون البلاغية الموجودة في السورة بشكل مقتضب، ولم تتعامل معها على أنها آليات حجاجية وهذا وجه الاختلاف بين الدراستين.

## التمهيد

يُعرف الحجاج لغة بأنّه البرهان والجدال، وهو مأخوذ من (حاج فلان فلان ) أي غلبه بالحجة والبرهان، ويقال: رجل محاجج أي مجادل.(١)

هذا فيما يتعلق بمعناه اللغوي، أما معناه الاصطلاحي فهو: "سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها"(٢)

والحجاج نوعان: جدلي وخطابي، والحجاج الجدلي هو مناقشة الآراء بهدف التأثير العقلي والحجاج الخطابي هو الموجه إلى الجمهور في أوضاع خاصة للتأثير والاستمالة،(٣)وهو موضوع هذه الدراسة.

والنص القرآني يُعدّ خطابًا بوصفه نصًا مؤثرًا، وبوصفه خطابًأ، و هذا يعني أنه يُعنى بالنتيجة؛ فالقرآن الكريم يحمل عقيدة جديدة موجهة للناس؛ فلابد أن يكون الخطاب فيه قائمًا على الإقناع والتأثير والاستمالة بأساليب حجاجية(٤).

ولما كان الحجاج يجمع بين التواصل والتفاعل بوصفه فضاء تلتقي فيه وجهات النظر، كان لابد أن يكون الخطاب فيه مبنيًا على خلق القناعات، وتوكيدها للتصرف في المواقف بقصد الإقناع؛(٥) فالخطاب القرآني فعالية

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤، ٢٢٨/٢.

(٢) الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، علوي، حافظ إسماعيلي ،علم الكتب، الأردن،ط١، ٢٠١٠م، ٢/٢

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن، ص ١٥. ١٧. ١٨.

(٤) يُنظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق، د. مثنى كاظم صادق، منشورات الضفاف، بيروت،ط١، ٢٠١٥،ص:٦٠

(٥) يُنظر: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ١/:٢٧٣

تواصلية بين مرسل ومرسل إليهم يتجاذب النتيجة فيه قصدان هما: الإفهـــام بوصفه خطابًا موجهًا للغير، والتأثير والإقناع؛ لأنّ هدفه التأثير في المرسل إليهم.(١)

ويمكننا القول إنّ التأثير على المرسل إليهم في النص القرآني جاء من خلال آليات لغوية حجاجية، مبنية على الروابط والعوامل والسلالم الحجاجية وماتقوم به من تأثير في إيصال المعنى وإبلاغه كما سيتضح في مباحث هذه الدراسة.

(١) يُنظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص:٦٣

## المبحث الأول

## الروابط الحجاجية

الربط هو العلاقة التي تصل بين شيئين، وتدل على أن اللاحق منهما متعلقٌ بسابقه[١]ولا يكون الربط إلا بروابط، وهذه الروابط قد تكون ضمائر أو حروفًا كالربط بالواو أو الفاء، أو إذا الفجائية[٢]أو الروابط التي تدل على السببية مثل: لأنّ، ولام التعليل وغيرها من الأدوات والحروف التي تفيد الربط عند وجود علاقة سياقية بين معنيين.[٣]

ولا يمكن معرفة قيمة هذه الروابط إلا بالرجوع إلى سياقها الذي جاءت فيه؛ لذا تُعدّ مؤشراً يقوم الحجاج عليه.[٤]كما سيظهر لنا عند تحليل الروابط الواردة في السورة:

### الربط بياء النداء:

يُعد النداء توجيهًا؛ لأنّه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل. [٥] وهذا مفاد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا﴾ حيث بدأ خطاب الكفار بالنداء؛ لإبلاغهم، فالنداء يستدعي إقبال الأذهان على ما سيلقى عليها، فأسلوب النداء في اللغة العربية من آليات التوجيه التي تهيئ السامع للأمر الذي يُراد إيصاله؛ فهو

---

(١) يُنظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية،د. محمد اللبدي،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٩٨٥، ص:٩٠

(٢) السابق بصفحته

(٣) يُنظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق ص:٧١

(٤) يُنظر: السابق:٧٢ نقلاً عن :Ducrot,Lesehlles argumentaion P:15

(٥) يُنظر: إستراتيجيات الخطاب ،عبدالهادي الشهري دار الكتاب ، بنغازي ، ط١، ٢٠٠٣، ص٣٦٠

تنبيه للمنادى؛ ليصغي للرسالة الموجهة إليه، والخطاب في هذه السورة موجه لمجموعة محددة من الكافرين، وليس لكل الكافرين.(١)

وهذا النداء يتضمن النداء بالياء وأي، والهاء؛ فـ(الياء) لنداء الغائب و(أي) لنداء الحاضر، و(الهاء) للتنبيه، وكأنّ الحق -تبارك وتعالى- يقول: "أدعوك ثلاثاً ولا تجيبني مرة؛ ما هذا إلا لجهلك الخفي"(٢)

وقُدمت (الياء) التي توجب البعد على (أيّ) الموجبة للقرب؛ لتفيد معنى أنّ التقصير من العبد، والتوفيق من الله،(٣)وهذا الربط يتناسب مع مناداة الحق -تبارك وتعالى- للكافرين على لسان نبيه- صلى الله عليه وسلم-؛ فمناداتهم بوصف ﴿الْكَافِرُونَ﴾ يتناسب مع معنى البعد، وهو تحقير لهم ، وتأييد لموقف التبرؤ منهم .(٤)

ومن خلال هذا الوصف حُددت فئة المخاطبين، وهم كفرة مخصوصون- -بناء على ماورد في سبب نزول هذا السورة- قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون،(٥)والخطاب بحسب سبب النزول، عن البعض وليس عن الكل؛ لأنّ من الكفار من آمن وصار يعبد الله؛ فهو خطاب مشافهة مع

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٠، ١٤٧/٣٢/١٦

(٣) يُنظر: السابق، ١٤٧/٣٢/١٦

(٤) . يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

(٥) يُنظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الفكر، بيروت، د.ت، ٢٩١/٤

أقوام مخصوصين، وهم الذين قالوا :"تعبد إلهك سنة"[١]كما ورد في سبب نزول هذه السورة الكريمة التي نزلت في جماعة من قريش طلبوا من الرسول – صلى الله عليه وسلم–أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا الله سنة؛ فقالوا للنبي– صلى الله عليه وسلم– إن كان الذي جئت به خيرًا ممّا بأيدينا؛ اتبعناك، وإن كان الذي بأيدينا خير ممّا في يدك يا محمد تتبعه، فقال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم: –"معاذ الله أن أشرك به غيره"؛ فنزلت هذه السورة.[٢]

وقد ناداهم الحق سبحانه بما يكرهون، وهو: (الكفر)؛ ففي هذا الوصف تأكيد على عدم قبولهم، وما يعبدون؛ فجاء الحجاج، والتأثير، والإقناع من خلال هذا الوصف الذي نُودوا به.[٣]

وعلى الرغم من تواتر الأقوال حول خصوصية الخطاب في هذه السورة عن كفرة مخصوصين؛ إلا أنّ القاعدة في فهم النص القرآني تنص على أن تكون العبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، فيكون لفظ( الكافرون) عام يشمل كلّ كافر؛ فهذا هو الأنسب والأليق بحال النبي– صلى الله عليه وسلم– في تبرئته من جميع الكفار، وبعده عنهم وعن معبوداتهم.

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٠، ١٤٧/٣٢/١٦

(٢) يُنظر: أسباب النزول، الواحدي، ت:عصام الحميدان، دار الأصلاح، المملكة العربية السعودية، الدمام، ص:٤٦٧، ويُنظر: تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار عالم الكتب ط١ ،٢٠٠٣، ٧٠١/٢٤

(٣) . يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤ ،٩١/٣٠

## الربط بـ(ما الموصولة)

في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ جاء التعبير بـ ﴿مَا﴾ الموصولة دون (من) الموصولة؛ لأنّ المراد التعبير عن الصفة؛ فكأنه قيل: "لا أعبد الباطل، ولا تعبدون الحق"[١]، وقيل: إنّ ﴿مَا﴾ هنا مصدرية، وليست موصولة،والمعنى: "لا أعبد عبادتكم، ولا تعبدون عبادتي؛ لكم شرككم، ولي توحيدي"[٢]

وعلى رأي من قال: إنّ(ما) في الآية الثالثة والخامسة في قوله تعالى: ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ هي (ما) الموصولة؛ نلاحظ أنّها لم تأتِ (مَنْ) الموصولة للعاقل؛ والسبب في ذلك؛ لتقابل آية: ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ المقصود بها الأصنام، التي لا يصلح معها إلا (ما) دون (مَنْ) فحُمل الأوّل على الثاني؛ ليتقابل الكلام ولا يتنافى.[٣]

فقابل الكلام مع أن المراد بها الله تعالى، "لأن المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد"[٤]

وقيل (ما) في الآيتين الأوليين، في قوله تعالى: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ بمعنى(الذي) والمقصود: المعبود، أما في الآيتين الأخريين، في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فهي: (مصدرية)والمعنى: "لا

---

(١) تفسير الكشاف ٢٩٢/٤

(٢) السابق بصفحته

(٣) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، إعداد: محمد المرعشلي وآخرون، دارعالم الكتب الرياض، ،ط١، ٢٠٠٣، ٢٢٨/٢١

(٤) ينظر: السابق بصفحته

أعبد عبادتكم المبنية على الشك، وترك النظر، ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين"[١] والراجح أنّها(ما الموصولة) بمعنى( الذي) في جميع الآيات؛ لأنّها تُحيل إلى المعبودات المذكورة في السورة؛ فهي أولى بالسياق والمقام والغرض المراد.

والسر البلاغي في الحجاج بهذا الرابط (ما) الموصولة التي تدل على ما لا يعقل؛ لأنّ في معبوداتهم ما لا يعقل، فجاء هذا التعبير تحقيرًا لكل ما عبدوه من دون الله، وفي التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ما يدل على الزمن القادم، والمعنى: لن يعبد النبي-صلى الله عليه وسلم- من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادة، لا في السر ولا في العلن؛ لأنهم لا يصلحون للعبادة من دون الله.[٢]

أما عن استخدام (ما) عند الحديث عن عبادة الله في قوله تعالى: ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ في الآية الثالثة والخامسة فقد حسّن المفسرون ذلك؛ لأنّه لا نزاع لهم في أن معبوده عالم، كما أن (ما) صالحة للإطلاق عليه -سبحانه وتعالى- فعبر بها؛ لأنّ ذلك أقرب إلى الإنصاف وعدم الخلاف، أي: الآن وما بعده؛ لأنّ الله تعالى أبعدهم عنه؛ فلا مطمع في الوفاق بين ما يعبد وما يعبدون.[٣]

كذلك عبر عن الخالق سبحانه بـ(ما) الموصولة رغم أنّها لغير العاقل- على الأغلب- لأنه لم يكن قبل البعث مشهوراً عندهم بعبادة الله -

(١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان ، تحقيق: عبدالرازق المهدي، دار إحياء التراث بيروت، لبنان،ط١ ، ٢٠٠٢ ، ٧٤٤/٨

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، تخريج عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠١١، ٥٥٧/٨

(٣) ينظر: السابق بصفحته

سبحانه وتعالى- ؛ فعبر بما لا يتوجه لهم إليه إنكار، وبالمضارع الذي ظاهره الحال أو الاستقبال مراداً به ما يشمل الماضي.(١)

وقيل لا مانع من إطلاق (ما) على العاقل إذا كان اللبس مأموناً؛ فـ(ما) الموصولة يؤتى بها بقصد الإبهام؛ لتفيد المبالغة في التفخيم(٢) كقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾(٣)

كلّ هذه المعاني التي أفادها الربط بـ(ما) كان لها الدور في التأثير والإقناع؛ فهي رابط حجاجي جاء ليفيد معنى في ترتيب الحجج، ومن ثم التوصل إلى النتيجة النهائية.

## الربط بـ (الضمير):

للضمائر أهميّة كبرى في الكلام؛ فهي من العلامات اللغويّة التي تمثل ذاتًا في المحيط الاجتماعي متكلمًا كان أم مخاطبًا أم غائبًا؛ لذا تعد من عوامل الربط القوية بين السياق اللغوي(المقال)والسياق غير اللغوي (المقام).(٤)

وهي من أهم الأدوات التي تُستعمل في الإحالة على الرغم من عدم بروزها الصوتي(٥).

---

(١) ينظر: السابق بصفحته

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

(٣) سورة الشمس (٥)

(٤) يُنظر: تبادل الضمائر في سورة(الكافرون)دراسة تحليلية، د. عائشة خضر أحمد وآخرون، مجلة التربية و العلم، الموصل، العراق، المجلد١٧العدد٤، ٢٠١٠، ص:٨١

(٥) يُنظر:تحليل الخطاب، براون وآخرون، ت:محمد الزليطي وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض،ط١، ١٩٩٧

وتمتاز سورة (الكافرون) عن غيرها من قِصار السور في القرآن الكريم بالتبادل البارز للضمائر، كما أنّها تمتاز بالتبادل بين ضمائر المتكلم، وضمائر المخاطب التي تحيل إلى الحال والمستقبل، وهذا التبادل في القرآن الكريم يأتي لغاية حجاجية لها تأثيرها على إبلاغ المعنى وإيصاله.

والضمائر في هذه السورة رغم قصرها، جاءت متنوعة ما بين الاتصال والانفصال، والظهور والاستتار على النحو التالي:

| الآية الكريمة | الضمير | نوعه |
|---|---|---|
| ﴿قُلْ﴾ | أنت | مستتر |
| ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ | أنا | مستتر |
| ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ | الواو | ظاهر – متصل |
| ﴿وَلَا أَنتُمْ﴾ | أنتم | ظاهر – منفصل |
| ﴿أَعْبُدُ﴾ | أنا | مستتر |
| ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ | أنا | ظاهر – منفصل |
| ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ | التاء | ظاهر – متصل |
| ﴿وَلَا أَنتُمْ﴾ | أنتم | ظاهر – منفصل |
| ﴿أَعْبُدُ﴾ | أنا | مستتر |

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ افتتحت السورة الكريمة بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ للاهتمام بما بعد القول؛ فهو كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أن ّالنبي–صلى الله عليه وسلم– مرسل بقول يبلغه لهم،[1] والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره (أنت) يعود على النبي–

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

صلى الله عليه وسلم، والتعبير بصيغة الأمر، وضميره المستتر هنا جاء لغاية حجاجية؛ وهي: المبالغة في الإنكار.(١)

وقد دفع فعل الأمر﴿قُلْ﴾ المخاطب( النبي-صلى الله عليه وسلم-) لأداء فعلٍ معين، وهو إخبار الكفار بأنّه لن يعبد آلهتهم لافي الحال ولافي الاستقبال، وفعل الأمر كما نعلم؛ يدخل ضمن الأفعال الإنجازية، بصيغته الأصلية (افعل) التي لاتحتمل غير الوجوب؛ وبذلك تكون هذه الصيغة داحضة لكل الحجج، التي تقول بغير ذلك.(٢)

وبعد أن عبّر الحق -سبحانه وتعالى- عن نبيه -صلى الله عليه وسلم بالضمير المستتر في فعل الأمر السابق جاء التدرج في الخطاب؛ ففي قوله تعالى:﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ تحوّل الضمير من الاستتار في ﴿ لَا أَعْبُدُ ﴾ إلى الظهور في ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾والتدرج على مستوى اللفظ قد تطلب تدرجًا على مستوى التركيب أيضًا؛ فنفي النبي- صلى الله عليه وسلم- عن نفسه عبادة الأصنام جاء بصيغتين: صيغة الجملة الفعلية(﴿لَا أَعْبُدُ﴾ وصيغة الجملة الاسميّة في ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ كما جاء النفي بالمضارع في﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ والماضي في ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ وبهذا يكون النبي- صلى الله عليه وسلم- قد نفى عن نفسه عبادة غير الله في الحال الثابتة التي دلت عليها الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ الضمير المنفصل ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ والحال المتجددة التي دل عليها الفعل المضارع ﴿

(١) يُنظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٠، ١٤٧/٣٢/١٦

(٢) يُنظر:إستراتيجيات الخطاب: ص٤٨٦

لَا أَعْبُدُ ﴾في الجملة الفعلية في كل الأزمنة.[١] وبهذا يكون النفي عنده- صلى الله عليه وسلم- أدوم وأبقى منه عند المشركين.[٢]

والجملة الثانية، والثالثة، والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي جاءت مبتدأ في كل جملة مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده، وكلها منفية بحرف واحد، وهو لفظ (لا) وكلها متحدة فلا يصح القول إنّ معانيها مختلفة.[٣]

وإذا قلنا إنّ طرفي الخطاب في هذه السورة هما الرسول- صلى الله عليهم وسلم- و(الكافرون) فهذا يعني أنّ المستوى في الروابط الحجاجية سيكون مختلفًا بحسب قوة الحجة؛ فالضمائر التي جاءت في الخطاب الخاص بالرسول- صلى الله عليه وسلم- توالت بعدها الجمل الاسمية التي تنفي عن النبي – صلى الله عليه وسلم- عبادة غير الله؛ فجاءت بصيغة ثابتة هي ضمير المتكلم ( أنا) مع تبادل في مجيء الضمير حيث جاء الضمير مستترًا ثلاث مرات، وظاهرًا مرة واحدة، وضمير المتكلم سواء كان ظاهرًا أو مستترًا فمعنى التوكيد فيه أكبر منه في بقية الضمائر، وفي هذا دليل على ثبات منهج الرسول- صلى الله عليه وسلم- فهذه الـ (أنا) في هذا السياق ليست ضميرًا عاديًا فهي تمثل أمة في عقيدتها.[٤]

---

(١) يُنظر: تبادل الضمائر في سورة (الكافرون)دراسة تحليلية:٨٦

(٢) يُنظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط١، ١٩٨٨، ص: ٢٩

(٣) ينظر: فتح القدير بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير، المكتبة العصرية، بيروت،ط١، ١٩٩٧،٥/٦٥٠

(٤) يُنظر: تبادل الضمائر في سورة (الكافرون)دراسة تحليلية:٨٨

أما الضمائر التي جاءت في السياق الذي يتكلم عن الكافرين فقد جاءت عديدة ومتنوعة، ما بين ضمير متصل ظاهر كالواو في (ما تعبدون) ومنفصل ظاهر كما في(أنتم) والتاء الظاهرة المتصلة بميم الجماعة كما في (عبدتم) وكلّ هذا يوحي بعدم الثبات؛ لوجود التعدد والغموض في منهجهم، والدليل على ذلك اندثار عقيدتهم؛ لعدم رسوخها وخلود عقيدة التوحيد.(١)

مما سبق يتبين لنا أنّ الضمائر تحكم الربط في الخطاب الحجاجي، كما أنها وسيلة إقناعية تؤثر في المتلقي، فكل آية تُحيل الضمائر فيها إلى معلومات مُعطاة، وهي بذلك توجّه المستمع إلى المعلومات الجديدة التي تنتهي إلى النتيجة الختامية في آخر السورة.(٢)

(١) يُنظر: السابق بصفحته

(٢) يُنظر:تحليل الخطاب:٢٦١

## الربط بـ(الواو):

الواو العاطفة من حروف المعاني التي لها دور في فهم المعنى، ويُسمى الربط بها (الربط التشريكي)[١] وقد تكررت في هذه السورة أربع مرات في الآيات التالية: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وقوله تعالى:﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

والواو في جميع هذه الآيات (واو) عطف للوصل،[٢] ومعناها مطلق الجمع، بإشراك ما بعدها مع ما قبلها في المعنى[٣] فكلا الطرفين؛ الرسول- صلى الله عليه وسلم- والكفار له آلهة، فجاء عطف النفي مؤكدًا أنّ هذه الفئة الخاصة من الكفار لن تعبد الله، وكذلك الرسول- صلى الله عليه وسلم- لن يعبد ما يعبدون من دون الله؛ فقوله تعالى:﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ عطف على الجملة السابقة لها وذلك لمناسبة نفي أن يعبدوا الله، وأردف بعدها بنفي أن يعبد الرسول -صلى الله عليه وسلم – آلهتهم؛ فالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ دلالة على رسوخهم في عبادة

---

(١) يُنظر: النص والسياق -استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،فان دايك،ت:عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق،المغرب،ط١، ٢٠٠٠، ص: ٩٠

(٢) يُنظر: إعراب القرآن الكريم، محمد الإبراهيم دار النفائس بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٦، ص:٦٠٣

(٣) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ت: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٨٧،٢/٣٥٤

الأصنام منذ زمن، وعلى تنزّه الرسول –صلى الله عليه وسلم– من عبادة الأصنام.(١)

كذلك جاءت الجملة في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ عطف على جملة ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ وهذا يبين تمام الاختلاف بين حال الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبين حال الكافرين، ويؤكد على إخبارهم بأنهم لا يعبدون الله، وفيه تنبيه لهم بأنّ الله أعلم بحالهم، وأنهم سيموتون على كفرهم، وهذا يدل على إثبات نبوءة النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد أخبر الله النبي –صلى الله عليه وسلم– عن خاتمتهم، وهذا من علم الغيب.(٢)

من كل ما سبق يتبين لنا أنّ الواو العاطفة حرف من حروف المعاني التي لها دور في فهم المعنى عن طريق تدرج الحجج حتى يصل مستوى الخطاب إلى النتيجة الحتمية المقنعة؛ فهي –بالإضافة إلى ترتيبها الإشراكي للجمل– قدخصصت نموذج الخطاب الذي تناول الجمل الفرعيّة والأصليّة أيضًا؛ حيث حددت الأشخاص( النبي–صلى الله عليه وسلم– والكفار المخصوصين بالخطاب في السورة) والأزمنة التي يشملها هذا الخطاب؛ وبذلك أضاف الربط بالواو في هذه السورة شيئًا على موضوع التحاور،(٣)وهو النتيجة النهائية في قوله تعالى:﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠
(٢) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠
(٣) ينظر: النص والسياق :٩٥

## المبحث الثاني
## العوامل الحجاجية

يأتي الاهتمام بالعوامل الحجاجية؛ من أنها الأدوات التي تجعل الخطاب يقود المتلقي إلى وجهته المقصودة؛ فغاية العامل الحجاجي؛ تقييد وحصر آليات الطرح؛ لإشباع مشاعر وفكر المتلقي؛ ليكون مستعدًا لقبول القضيّة المطروحة.(١)

وتمثل العوامل الحجاجية عماد عمليّة التواصل؛ فغاية كلّ خطاب هو الإقناع؛ فلا وجود لخطاب دون غاية إقناعية.(٢)

وقد جاء النفي في السورة بـ(لا) النافية بوصفه من أهم العوامل التي قام عليها الحجاج؛ فهو حاضر، متكرر في معظم السورة؛ حيث جاء في أربع آيات من أصل ست آيات في قوله تعالى:

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾

والنفي عند البلاغيين يمثلُ شقًا للإثبات؛ فهو عامل حجاجي تتحقق به وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل، وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة، بينما هو عند المناطقة؛ العامل الذي يحوّل القضيّة الصحيحة إلى قضيّة خاطئة، والخاطئة إلى صحيحة(٣)، وكذلك هو في الدرس اللغوي، فقد جعله ابن يعيش(إكذاب) في قوله: "اعلم أنّ النفي إنّما يكون

---

(١) يُنظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق، ص:٧١

(٢) يُنظر: العوامل الحجاجية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١١، ص:١٧

(٣) يُنظر: السابق: ص:٧٢-٧٣

على حسب الإيجاب؛ لأنّه إكذاب له؛ فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أنّ أحدهما نفي والآخر إيجاب"[١]

وفي "الإكذاب توجيه للملفوظ، وللمتقبل نحو النتيجة التي يجب أن يصدق بها المتقبل قصرًا"[٢]

فالعامل مُتصدّر للجمل كما في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وقوله تعالى:﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾؛ فالعمل اللغوي لأداة النفي(لا) في هذه الآيات؛ هو نفي الخطاب الذي جاء؛ ليقيم الحقيقة المذكورة، ويثبت عكسها، وهذا ما جاء في سبب نزول السورة.[٣] فغاية النفي هنا التكذيب؛ وهذه وظيفة النفي الأساسيّة[٤].

وللنفي بـ(لا) ميزة عن غيرها من أدوات النفي التي خصصتها العربية مثل: ( ما ،لم ،لمّا ،لن ،إن) فلا يكون النص على النفي إلا بهذه الأدوات، وهي تشترك مع (لا) في قوة النفي؛ إلا أنّ الفرق بين(لا) وبين هذه الأدوات بيّن من حيث دلالة الحرف؛ فـ(ما) لنفي الحال، و(لم –لما) لنفي الماضي، أما( لا– لن) لنفي المستقبل.[٥]

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش عالم الكتب، بيروت، د.ت:١٠٧/٨

(٢) العوامل الحجاجية:٧٣

(٣) يُنظر: أسباب النزول، الواحدي، ت:عصام الحميدان، دار الأصلاح، المملكة العربية السعودية، الدمام، ص:٤٦٧، ويُنظر: تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار عالم الكتب ط١ ،٢٠٠٣، ٧٠١/٢٤

(٤) يُنظر: إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، شكري مبخوت، مركز النشر الجامعي، تونس،ط١، ٢٠٠٦، ص: ١٩

(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني وينظر: إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية:١٢١

والمعنى في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أفعل الذي تفعلون؛ فالفعل غير واقع من النبي – صلى الله عليه وسلم- فجاء النفي للتوكيد[١]

والمقصود: العبادة فيما يستقبل، لأنّ ﴿لَا﴾ لا تدخل إلاّ على المضارع في معنى الاستقبال[٢]والمعنى: " لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلٰهي"[٣]

وجاء التعبير بصيغة المتكلم وليس بصيغة المخاطب (لا تعبد ما يعبدون) لأنّ الله تعالى أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم- بأن يقول بلسانه: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وبهذا يلزمه ألا يعبد ما يعبدون ولو فعل ذلك؛ لأصبح كلامه – صلى الله عليه وسلم-كذباً- وحاشاه- فثبت أنّه لما قال له الحق سبحانه: قل يا محمد: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾؛ لزمه أن يكون منكرًا لعبادة غير الله بقلبه ولسانه وجوارحه.[٤]كما أنّ الفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ غير واقع من المشركين.

وجاء التعبير بـ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وليس ما (عبدت)، قياسًا على:﴿ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ لأنّ الكفار كانوا يعبدون الأصنام قبل البعثة أما النبي- صلى الله عليه وسلم- فلم يكن يعبد الله تعالى قبلها؛ لذلك جاء التعبير بـ﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾.[٥]

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤

(٢) يُنظر: تفسير الكشاف ٢٩٢/٤

(٣) السابق بصفحته

(٤) يُنظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٠، ١٤٧/٣٢/١٦

(٥) يُنظر: تفسير الكشاف ٢٩٢/٤

والفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ غير واقع من النبي –صلى الله عليه وسلم– لكنه واقع من المشركين.

وقد جاءت جملة ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ لما أُستقبل من الزمان، بينما جاءت جملة ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ لتفيد الماضي[١] فنفي العبادة منه لِما عبدوا من الأوثان في الماضي[٢]أي: "وما كنت قطّ عابدًا فيما سلف ما عبدتم فيه، يعني: لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى مني في الإسلام ؟"[٣]

والفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ غير واقع من المشركين لكنه واقع من النبي– صلى الله عليه وسلم– والمعنى: لن يحدث ذلك فيما تستقبلون أبدًا، أي: ما أعبده الآن وفيما أستقبل.[٤]يقول الطبري في ذلك:" وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنّ الخطاب من الله كان لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدًا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه –صلى الله عليه وسلم– أن يُؤَيِّسَهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأنّ ذلك غير كائن منه، ولا منهم، في وقت من الأوقات"[٥]

وقد جاء تكرار اللفظ دون المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾؛ فالتقابل يوجب أن يكون: (ولا أنتم عابدون ما عبدت)، فعدل عن

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار عالم الكتب ط١ ،٢٠٠٣، ٧٠٢/٢٤

(٢) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن٢٢٨/٢١

(٣) تفسير الكشاف ٢٩٢/٤

(٤) يُنظر: تفسير الطبري:٧٠٢/٢٤

(٥) تفسير الطبري:٧٠٢/٢٤

لفظ (عبدت) إلى (أعبد)؛ "إشعاراً بأنّ ما عُبد في الماضي هو الذي يُعبد في المستقبل، مع أنّ الماضي والمستقبل قد يقع أحدهما موقع الآخر."[١]وقد أفاد تكرار التأكيد قطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم رسول الله- صلى الله عليهم وسلم- في أطماعهم.[٢]

والسرّ في مجيء النفي بـــ ( لا ) دون ( ما )؛ ليكون ذلك بشارة بأنّه -سبحانه وتعالى- يثبته على الصراط المستقيم، ولا يظفرهم به، وهذا من علم الغيب.[٣]فـــ(لا )النافية في هذا الخطاب الحجـــاجي قـــد أفـــادت معنـــى الإصرار والثبات في القول والحجة، وهي العبادة الخالصة لله -عزّ وجـــلّ- فالنبي لا يعبد ما يعبد هؤلاء الكفار، ولا هم يعبدون ما يعبده النبي-صلى الله عليه وسلم-، وهذا النفي أثبت من خلاله قول وحجة الرســـول-صـــلى الله عليه وسلم- الموجهة للكافرين بالنفي عن العبادة المخالفة للدين الإســـلامي سواء كان ما يعبدونه في الماضي أو الحاضر أو مستقبلًا، فكرر النفي أربع مرات، والتكرار يفيد إثبات القول و يؤثر على المتلقي، فالفعل ﴿ تَعْبُـــدُونَ﴾ مضارع يحتمل الحال والاستقبال، فلما دخلت عليه (لا) النافية؛ أفادت انتفاءه في المستقبل؛ فنفي الفعل في الحال والاستقبال.[٤]

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن٢٢٨/٢١

(٢) ينظر: فتح القدير بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير، المكتبة العصرية، بيـــروت،ط١، ٦٥٠/١٩٩٧،٥

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، تخـــريج عبـــدالرزاق المهـــدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠١١، ٥٥٧/٨

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

ثم جاء بعدها إثبات نفي عبادتهم لله ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾باسم الفاعل الذي هو حقيقة في الحال، وهذا يعني بأنّ الكافرين لن يغيروا شركهم الآن؛ لأنهم عرضوا عليه أن يبتدئوا هم في عبادة الربّ الذي يعبده النبي – صلى الله عليه وسلم– وهذا النفي يثبت أنهم لن يفعلوا ذلك؛ لأنّ الله يعلم ما في أنفسهم، وأنّه لن يسلم منهم أحد.(١)

وقد أفاد النفي بـ(لا) النافية بوصفه أهم العوامل التي قام عليها الحجاج في السورة، المقابلة التي جاءت على أنها آلية من آليات الحجاج من خلال الجمع بين الشيء وضده في جزءٍ من أجزاء الخطاب الحجاجي في كلّ من:﴿لَا أَعْبُدُ﴾ / ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وبين :﴿لَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ / ﴿مَا أَعْبُدُ﴾

﴿لَا أَنَا عَابِدٌ﴾ / ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ وبين ﴿لَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ /﴿مَا أَعْبُدُ ﴾و ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ / ﴿لِيَ دِينِ﴾.

فالمقابلة في الآيات السابقة قامت على الفعل ونفيه، ومن خلالها اتضح إثبات وتمسك النبي–صلى الله عليه وسلم– بعبادة الله وحده لا شريك له.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

## المبحث الثالث
## السُلم الحجاجي

يُعرّف السلم الحجاجي بأنّه علاقة تراتبية للحجج متتابعة[١] وينطلق التصور فيه من التدرج من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية وصولاً إلى النتيجة المتوخاة من المرسل على أن تدعم هذه الحجج النتيجة من خلال متابعة المتلقي لها.[٢]

وهذا الأسلوب يساعد على ترتيب الحجج وتدافعها للوصول إلى الحجة الأقوى في السياق، وقد جاء التدرج الحجاجي في سورة (الكافرون) بعلاقة تراتبية تصل المتلقي بالنتيجة، فجاء ترتيب أجزاء القول على النحو التالي:

الاستهلال في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ والعرض في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ثم الخاتمة في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

وجاء ترتيب الحجج والنتيجة على النحو التالي:

ح١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾
ح٢ ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾
ح٣ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾
ح٤ ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾
ن ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(١) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق، ص:١١٩
(٢) ينظر السابق بصفحته

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي في السورة بإيجاز على النحو التالي:

مقدمة ← نتيجة

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

فالمقدمة تؤدي إلى النتيجة مباشرة، إلا أن الحق -سبحانه وتعالى- أراد أن يؤكد ويقرر النتيجة، ليقطع على الكفار دابر ظنونهم وما يؤملون من وراء حوارهم هذا.

وتعد الحجة الأولى بنفس مستوى قوة النتيجة؛ فالنفي فيها جاء بضمير المتكلم المقرون بالنفي ثم الحجة الثانية التي التفت فيها لخطاب الكفار، ثم أشرك بقية الحجج بالواو الواصلة؛ ليصل إلى النتيجة النهائية.

والتكرار في السورة جاء لغاية إقناعية هي التأكيد والإفهام[١]وهو من أبرز الأساليب الظاهرة فيها، لأنّه دخل ضمن عملية بناء النص، فضمن انسجامه؛ ليقوم بدوره الحجاجي[٢].

فجملة ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ جاءت توكيدًا لقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وجملة: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ جاءت توكيداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ والفائدة من هذا التوكيد قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بموتهم على الكفر.[٣]

---

(١) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن٢٢٨/٢١

(٢) يُنظر: آليات الحجاج اللغوي في المثل الشعبي مقاربة تداولية، منصوري حبيب الله وآخرون ، المجلة التعليمية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس ،كلية الآداب و اللغات و الفنون، مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية ،الجزائر ، مج ،١٠العدد٢، ٢٠٢٠،ص١٥٩

(٣) يُنظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان ، تحقيق: عبدالرازق المهدي، دار إحياء التراث بيروت، لبنان،ط١ ، ٢٠٠٢ ، ٧٤٤/٨

وقيل: إنّ المعنى ليس للتوكيد؛ فقد تقيدت كل جملة بزمان مغاير؛ فالمعنى: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد[١]فجاء التدرج في النفي من الحاضر حتى المستقبل؛ ليفيد معنى النفي القاطع في كافة الأزمنة؛ فالنبي- صلى الله عليه وسلم- لن يعبد آلهتهم أبدًا، وهم كذلك لن يعبدوا الله أبدًا؛ فتحقق بذلك الإخبار بموتهم على الكفر.

وقد جاءت جملة: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ بهذه الصيغة التي تدل على الآن، و جاء البيان بقوله:﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾أي: أبداً ما حييت ثم جاء قوله تعالى:﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾حتمًا عليهم أنهم لا يؤمنون به أبدًا ، كالذي كشف الغيب.[٢] فجملة:﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾"إخبار عن نفسه بما يحصل منها، والمعنى: لا تحصل مني عبادتي ما تعبدون في المستقبل؛ لأنّ المضارع يحتمل الحال والاستقبال، فإذا دخلت عليه (لا) النافية أفادت انتفاءه في المستقبل،[٣] ثم عطف عليه ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ نفيًا للمستقبل على سبيل المقابلة ثم قال: ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾نفياً للحال؛ لأنّ اسم الفاعل العامل دل على الحال؛ ثم عطف عليه﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾نفيًا للحال على سبيل المقابلة، فانتظم المعنى أنّه -صلى الله عليه وسلم- لا يعبد ما يعبدون، لا حالاً ولا مستقبلاً، وهم كذلك.[٤]

---

(١) يُنظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان : ٧٤٤/٨

(٢) يُنظر: السابق بصفحته

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

(٤) يُنظر: تفسير البحر المحيط،٧٤٤/٨

كما أنّ نفى عبادة الكفار لله -سبحانه وتعالى- جاء بالجملة الاسمية الدالة على الثبات، وليس بالجمل الفعلية الدالة على نفي كلّ قليل وكثير؛ حيث يكون الفعل نكرة في سياق النفي فقال: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ أي: لن تعبدوا الله عبادة معتدًا بها بحيث تكون وصفًا ثابتًا.(١)

فكل جملة قد أفادت فائدة جديدة في السلم الحجاجي حيث جاءت بتدرج يفضي إلى نتيجة النفي القاطع، فقال -سبحانه وتعالى- على لسان نبيه- صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ أي: لن تعبدوا الله عبادة هي لكم وصف معتد به في الحال أو الاستقبال.(٢)

وجاء مع نفي عبادتهم لله بنفي اسم الفاعل في ﴿عَابِدُونَ﴾ أي: ما أنتم بمغيِّرين إشراككم الآن؛ فهم قد عرضوا عليه أن يبتدِئوا هُم بعبادة الربّ الذي يعبده النبي -صلى الله عليه وسلم- سنة، وهذا سبب وجه المخالفة بين نظم الجملتين في الأسلوب البليغ.(٣)

ثم خُتمت السورة بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أيّ: لكم شرككم ولي توحيدي، وهذا غاية التبرؤ؛ فلما كان الأهم نفي النبي- عليه الصلاة والسلام – أن يتبع دينهم بدأ بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب إليه، ولما تحقق النفي؛ رجع إلى خطابهم في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ على سبيل المهادنة،(٤)حيث جاء النفي في الجمل السابقة للاهتمام ببراءة النبي- صلى

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، تخريج عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠١١، ٥٥٧/٨

(٢) يُنظر: السابق بصفحته

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤، ٩١/٣٠

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط،٧٤٤/٨

الله عليه وسلم- قطعيًا مقدمًا يتعلق بهم على وجه الخصوص في ( ما تعبدون- ولا أنتم عابدون)، كما أنّ هذه الجملة جاءت تأكيدًا لما صرح به من براءته منهم فقال: ﴿لَكُمْ ﴾أيّ: خاصة ﴿ دِينُكُمْ ﴾أيّ: الذي تعلمون أنه لا أصل له يثبت عليه، فلا أشارككم فيه بوجه، ولا ترجعون عنه بوجه؛ بل تموتون عليه قتلًا و﴿ وَلِيَ ﴾أي: خاصة ﴿ دِينِ ﴾أيّ: من واسع روضة الإسلام إلى أعلى مقام الإيقان والإحسان.(١)

فكل آية قد جاءت حجة ثابتة، ومدعمة للحجة التي تليها؛ فقد جاءت الحجج مترابطة؛ لإثبات الحجة الأقوى، وهي قوله تعالى:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

والسلم الحجاجي في الآيات الكريمة جاء بأسلوب النفي المتكرر لإثبات كل حجة طُرحت للكفار؛ للوصول إلى الإقناع بالنتيجة النهائية في الحجة، بأنّ لكلا الطرفين دينه، فلو كان إيمانهم بآلهتم قويًّا وراسخًا؛ لما رضوا بأن يستبدلوه بغيره؛ فهذه معانٍ مبطنة في داخل إطار الحجج؛ يتوصل لها عقل المتلقي من خلال تدرج الحجج.

لقد انطلق الحوار من توجيه مقصود لكفار مخصوصين عرضوا على النبي- صلى الله عليه وسلم- تبادل الأديان، وهؤلاء الكفار قد مضى في علم الغيب أنهم سيموتون كفارًا؛ لذلك جاءت الحجج متدرجة في قوتها حتى وصلت إلى النتيجة النهائية في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، فكل ما قبلها من الجمل جاء على سبيل التوكيد والتقرير، فقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ تأكيدٌ لقولِه تعَالَى: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٥٧/٨

وقولُه تعالَى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ تأكيد أيضًا، وقولُه تعالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ تقريرٌ لقولِه تعَالَى: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾وقولِه تعالَى:﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾

كمَا أنَّ قولَه تعالَى: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ تقريرٌ لقولِه تعالَى: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ والمعنى: أنَّ دينَ الكفار الذي هُوَ الإشراكُ مقصورٌ على الحصولِ لهم لا يتجاوزُهُ إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- كما يطمعون، وأنَّ دين النبي- صلى الله عليهم وسلم- الذي هُوَ التوحيدُ مقصورٌ على الحصولِ له، لا يتجاوزُه إلى الحصولِ لهم؛ لأنَّهم علقوه بالمحالِ الذي هُوَ عبادة آلهتهم.(١)

ولما جاء في سبب نزول السورة أنهم قالوا: تعبدُ آلهتَنَا سنةً ونعبدُ إلهَكَ سنةً؛ كان القصرُ بتقديم المسندِ (قصرُ إفرادٍ) حتمًا، أيْ: لِي دِيني لا دينُكم؛(٢)فالقصر عن طريق التقديم والتأخير بتقديم المسند على المسند إليه؛ وهذا التقديم وضّح معنى الآية الكريمة؛ لأنّ دين الكافرين مقصور عليهم وغير كافٍ للكون كله ولا يتجاوزهم بينما دين الرسول -صلى الله عليه وسلم- مقصور على الكون وهذا الدين لا يتجاوز الرسول إلى الكافرين، فمن خلال الآيات السابقة تحقق وتأكد عدم إسلامهم، وهذه هي الحجة النهائية التي تقر وتثبت بطلان كلامهم.(٣)

لقد ساعد العطف بين الآيات على ترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض للوصول إلى النتيجة النهائية وهي إقناع الكافرين بأن الخلق خلقوا؛ ليعبدوا

---

(١) يُنظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥٠٣/٦

(٢) يُنظر: السابق بصفحته

(٣) ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ٩١/٣٠

إلهًا واحدًا، فهذا الوصل ساهم في بناء سلسلة مترابطة من الحجج توصل الخطاب إلى النتيجة النهائية،و السورةُ بأساليبها المتنوعة من الأمر، والنداء، والنفي كنايةٌ عن صَفاء التوحيد، وصِدق الاعتقاد، كما أنَّ فيها كنايةً عن وُجوب الاعتزاز بالحق، فلا مُشاركة في الشرك، حالاً ولا استقبالاً، وإنما تبرُّؤٌ ووضوح، ثم حُسن الانتماء إلى دين التوحيد، والفخر به ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾[1].

(١) قراءة بلاغية في سورة (الكافرون)،د. جمال أحمد، شبكة الألوكة على الإنترنت ،آفاق الشريعة، مقالات شرعية، علوم القرآن، بتاريخ ٧-١٢-٢٠١١

## الخاتمة

قامت سورة ( الكافرون) على التكرار الحجاجي، وترتيب الحجج، وتدرجها في نفي عبادة النبي–صلى الله عليه وسلم –لآلهة الكفار، ونفي عبادة الكفار لله –عزّ وجلّ– عبر الأزمنة، بداية من الزمن الذي دار فيه الحوار الحجاجي وصولًا إلى المستقبل في نفي حجاجي قطعي في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

وقد لاحظنا أنّ الروابط الحجاجية المتمثلة في (النداء، و(ما)، و الضمائر، والعطف بالواو) كان لها دور في ترتيب الحجج الموصلة إلى النتيجة النهائية.

كذلك كان للنفي بـ(لا) بوصفه العامل الحجاجي البارز في السورة، دور فاعل ورئيس في الوصول إلى النتيجة مع تعاضد عدة عوامل معه كالقصر عن طريق التقديم والتأخير، والتكرار، والوصف، والمقابلة

كما تميز الأسلوب الحجاجي في هذه السورة بالإيجاز والشمول؛ إذ جاء المعنى بلا استطراد وانسابت الكلمات موجزة مؤدية للفكرة.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

١. إنّ القرآن الكريم خطاب قائم على الحجاج في أصل تركيبه.
٢. إنّ الضمائر تحكم الربط في الخطاب الحجاجي، كما أنها وسيلة إقناعية تؤثر في المتلقي.
٣. تعدد آليات الحجاج في سورة (الكافرون).
٤. النفي في الحجاج له علاقة بالإثبات.

٥. إنّ تنوع الروابط الحجاجية في السورة كان لـــه دور فاعـــل فـــي ترتيب الحجج، ووصولها إلى النتيجة النهائية.

وتوصي الدراسة بمواصلة الأبحاث في الحجـــاج القرآنـــي؛ فـــالقرآن الكريم خطاب قائم على الحجاج في أصل تركيبه -كما أسلفنا-.

## المصادر والمراجع:

### المصادر:

١. القرآن الكريم.

### المراجع:

٢. أسباب النزول، الواحدي، ت: عصام الحميدان، دار الأصلاح، المملكة العربية السعودية، الدمام، د.ت.

٣. إستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري دار الكتاب، بنغازي، ط١، ٢٠٠٣.

٤. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق، د. مثنى كاظم صادق، منشورات الضفاف، بيروت، ط١، ٢٠١٥.

٥. إعراب القرآن الكريم، محمد الإبراهيم دار النفائس بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٦.

٦. آليات الحجاج اللغوي في المثل الشعبي مقاربة تداولية، منصوري حبيب الله وآخرون ، المجلة التعليمية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس ،كلية الآداب و اللغات و الفنون، مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية ،الجزائر ، مج ١٠،العدد٢، ٢٠٢٠

٧. إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، شكري مبخوت، مركز النشر الجامعي، تونس، ط١، ٢٠٠٦.

٨. تبادل الضمائر في سورة(الكافرون)دراسة تحليلية، د. عائشة خضر أحمد وآخرون، مجلة التربية والعلم، الموصل، العراق، المجلد١٧العدد٤، ٢٠١٠.

٩. التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤.

١٠. تحليل الخطاب، براون وآخرون، ت: محمد الزليطي وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٩٩٧.

١١. التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط١، ١٩٨٨.

١٢. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عبدالرازق المهدي، دار إحياء التراث بيروت، لبنان،ط١ ، ٢٠٠٢ م

١٣. تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، إعداد: محمد المرعشلي وآخرون، دار عالم الكتب الرياض، ط١، ٢٠٠٣.

١٤. تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ت: عبدالله التركي، دار عالم الكتب ط١ ،٢٠٠٣.

١٥. التفسير الكبير ( مفاتيح الغيب)، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠ .

١٦. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٧. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صوله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١.

١٨. الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، علوي حافظ إسماعيلي، عالم الكتب، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

١٩. شرح المفصل، ابن يعيش عالم الكتب، بيروت، د.ت

٢٠. العوامل الحجاجية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١١.

٢١. فتح القدير بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

٢٢. قراءة بلاغية في سورة (الكافرون)،د. جمال أحمد، شبكة الألوكة على الإنترنت ،آفاق الشريعة، مقالات شرعية، علوم القرآن، بتاريخ ٧-١٢-٢٠١١

٢٣. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه

٢٤. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد اللبدي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٢٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ت: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٢٦. النص والسياق -استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ت:عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق،المغرب،ط١، ٢٠٠٠، ص: ٩٠

٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، تخريج: عبدالرزاق المهدي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠١١.

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ٤٥٤٥ |
| ٢- | Abstract | ٤٥٤٦ |
| ٣- | المقدمة | ٤٥٤٧ |
| ٤- | التمهيد | ٤٥٥١ |
| ٥- | المبحث الأول : الروابط الحجاجية | ٤٥٥٣ |
| ٦- | المبحث الثاني : العوامل الحجاجية | ٤٥٦٥ |
| ٧- | المبحث الثالث : السُلم الحجاجي | ٤٥٧١ |
| ٨- | الخاتمة | ٤٥٧٨ |
| ٩- | المصادر والمراجع: | ٤٥٨٠ |
| ١٠- | فهرس الموضوعات | ٤٥٨٣ |